الفصل الأول

نجيب مترى الأب (١٨٦٥م-١٩٢٨م)

نجيب مترى

فى الأول من مايو من العام ١٨٦٥م، ولد «نجيب مترى» بلبنان، ببلدة الشويفات من أعمال جبل لبنان، وتعلم فى مدارسها، ثم انتقل إلى بيروت، وفيها تعلم فن الطباعة وصف الحروف، وحذق هذه المهنة وتشرب أصولها حتى صار فيها من المبرزين المحترفين. ولا نعلم كيف كانت الفترة التى قضاها فى مسقط رأسه منذ مولده وحتى هجرته إلى مصر التى كانت فى السنوات الأولى من ثمانينيات القرن التاسع عشر.

فى الإسكندرية، وحيث كان يقطن أحد المهاجرين اللبنانين أيضا «عزيز زند»(*)، يبدو أنه كان على صلة ما «بشفيق مترى»، ليس هناك ما يشير إلى طبيعة هذه العلاقة ولا أسباب انعقادها، كل ما نعلمه أنه قرر استدعاءه من لبنان ليشتغل معه فى صحيفته المحروسة، ويكون مديرا لمطبعتها، وبالفعل استجاب «مترى» لنداء «عزيز زند» ووفد إلى الإسكندرية فى العام ١٨٨٤م، وتولى إدارة مطبعة المحروسة.

ست سنوات قضاها «مترى» مديرا لمطبعة المحروسة بالإسكندرية، ثم انتقل بعدها إلى القاهرة فى عام ١٨٩٠م، مزمعا إنشاء مطبعة خاصة ومكتبة تكون نواة لمشروع كبير فى عالم الطباعة والنشر. ويبدو أن إمكانيات «نجيب مترى» المادية لم تكن تساعده لإنشاء

(*) مؤسس وصاحب صحيفة «المحروسة» أديب وصحفى مصرى، وفى قول آخر من المهاجرين الشوام، وهو الأرجح، لا تتوفر الكثير من المعلومات الدقيقة عن "زند"، وإن كنا نعرف أنه ولد فى القرن التاسع العشر، واحترف الصحافة فى شبابه حيث رأس تحرير جريدة "المحروسة" ومن مؤلفاته "القول الحقيق فى رثاء وتاريخ الخديوى توفيق".

هذه المطبعة بشكل مستقل أو منفرد، فعقد شراكة مع رائد شامى كبير بدوره هو العلم البارز «جورجى زيدان»، وأسسا معا «مطبعة التأليف».

لم تستمر هذه الشراكة سوى عام واحد، ولا نعلم الأسباب التى كانت وراء فضها، لكن وبصورة عامة انتهت هذه التجربة باحتفاظ «جورجى زيدان» بالمطبعة وأسماها «مطبعة الهلال» التى ستكون بعد عام واحد فقط نواة «دار الهلال» العريقة. بينما أسس «نجيب مترى» مطبعة جديدة مستقلة أطلق عليها اسم «مطبعة المعارف».

من هذه اللحظة سيشهد تاريخ النشر فى العالم العربى تدشين واحدة مع أروع تجاربها، ويستهل «نجيب مترى» عميد عائلة «مترى» فى مصر رحلته مع مهنة الطباعة والنشر. كان مقر المطبعة فى بدايتها الأولى فى الطابق الأرضى من عمارة الدمرداش بشارع الفجالة(٥)، ثم سيشهد العقار رقم (٧٠) من الشارع ذاته أو «شارع المطابع»، من جهة باب الحديد، مولد «مطبعة المعارف» فى الطابق الأرضى الذى كان عبارة عن فناء وثلاث حجرات بسيطة، وكان هذا المبنى ملكا للسيد «خليل الزهار» واشتراه منه «السيد عبد الرحيم الدمرداشى باشا».

كانت المطبعة فى أول عهدها عبارة عن آلة صغيرة للطبع تدار باليد وآلة لطبع التجارب، وبضعة صناديق للحروف. وعرف عن «نجيب مترى» وعن مطبعته، منذ البداية، الاهتمام والسعة الدؤوب للنهوض بفن الطبعة العربية. وتذكر الدكتورة «عايدة نصير»

(٥) عن شارع الفجالة وتاريخ الشارع/ فى تلك البقعة الصغيرة التى لا تتجاوز الكيلو متر مربع يقع شارع الفجالة الذى سمى بهذا الاسم نسبة إلى زراعة الفجل ومزارعيه الذين عرفوا باسم الفجالين، وكان أول شارع للصحافة والثقافة والنشر فى مصر، فقد تأسست فيه عدة صحف ومجلات منها مجلة «الزهور» و«الرواية الجديدة»، وغيرها.. ذلك الشارع التاريخى الذى أطلق عليه «شارع الأدب والأدباء» تارة أو «شارع المعارف» تارة أخرى، وكان يعرف أيضا بشارع المطابع، وفيه شهدت البناية رقم (٧٠) تأسيس «مطبعة المعارف» كمطبعة تجارية فى الطابق الأرضى، وقد كان هذا المبنى ملكا «لخليل الزهار» واشتراه «السيد عبد الرحيم الدمرداشى باشا».

فى كتابها «حركة نشر الكتب فى مصر فى القرن التاسع عشر» أن ما نشرته (مطبعة المعارف ومكتبتها) خلال السنوات العشر التى عاشتها فى القرن التاسع عشر بلغ ١٧ كتابًا.

فى العام ١٩١٠م حينما يكون فى مقدور نجيب مترى أن يتوسع فى نشاط «مطبعة المعارف»، سيقوم باستئجار دكان إضافى بنفس العقار الذى تقع فيه المطبعة، وسيطلق عليها اسم «مكتبة المعارف». وتحت اسم واحد هو «مطبعة المعارف ومكتبتها» سيجمع «نجيب مترى» الكيانين معا تحت هذا المسمى، وهى التى ستشكل نواة ما سيعرف باسم «دار المعارف»، التى قدر لها أن تلعب أعظم الأدوار وتخرج روائع الأعمال ويقرن اسمها بأعلام العصر من الأدباء والشعراء والمفكرين.

خليل مطران

وعلى ندرة المعلومات وقلتها، رغم البحث المضنى والواسع الذى بذلناه، فإن المصادر التى رجعنا إليها، وأهمها بأقلام لبنانيين، قد أجمعت على أن الرجل لم يكن مجرد صاحب مطبعة ومكتبة فقط، بل كان مثقفا واسع الثقافة، محبا للأدب، شغوفًا بالمعرفة، بل إنه كان ينظم الشعر أيضا. جعل «مترى» من «مطبعة المعارف» أكثر من مجرد دار نشر صغيرة تطبع الكتب، فقد حوّلها إلى «صالون ثقافى» ومنتدى أدبى دائم يضج بالزائرين من الكتاب والمؤلفين وأصحاب القلم.. زارها فى السنوات الأولى لإنشائها «أحمد حشمت باشا» ناظر المعارف، وتردد عليها أمير الشعراء أحمد شوقى، وشاعر القطرين «خليل مطران»، و«منصور فهمى باشا»، وآخرين من أعلام هذه الفترة الزاهرة.

وبالتأكيد، فإن الصلة الوثيقة التى ربطت «نجيب مترى» بأهم وأبرز رجالات عصره من الكتاب والأدباء والمفكرين والسياسيين

أيضا، كان لها كبير الأثر فى نشاطه وتوسعاته التالية فى المطبعة، إذ استثمر «نجيب متري» هذه الصلات كأحسن ما يكون، مما أتاح له أن يجتذب هؤلاء جميعًا لنشر كتبهم وأعمالهم لديه، وكل ذلك أعطى للدار الوليدة (مطبعة المعارف ومكتبتها بالفجالة) خاصة فى طور نشأتها الأولى دفعة قوية وهائلة فضلا عن ترسيخ أقدامها بثبات وقوة فى عالم النشر آنذاك.

بعد خمسة وعشرين عامًا من تأسيسه لمطبعة المعارف ومكتبتها بالفجالة، اتسعت تجربة «نجيب متري» وامتدت وأصبحت المطبعة من أكبر مطابع القاهرة وأكثرها استعدادا وجاهزية لطباعة الكتب المدرسية وغيرها من صنوف الإصدارات، وحازت شهرة عريضة بسبب جودة طبعها وإتقان إخراجها، وهنا سيقوم «نجيب متري» بإضافة قسم جديد للمطبعة مخصص لتجليد الكتب تجليدًا فاخرًا.

وبمناسبة مرور ربع قرن على إنشاء مطبعة المعارف ومكتبتها، احتفى كبار الكتاب والأدباء والشعراء من المشاهير بهذه المناسبة فى احتفال كبير أقيم بفندق الكونتينتال بالقاهرة فى ٢٨ أبريل ١٩١٦م، وقدم فريق منهم كأسًا تذكاريًا إلى «نجيب متري» اعترافًا وتقديرًا للدور الكبير الذى لعبه الرجل خلال هذه الفترة من تاريخ «مطبعة المعارف».

وضع «نجيب متري» فى مجال النشر وتعاملاته مع الكتاب والمؤلفين دستورًا صارمًا التزم به وطبقه خير تطبيق، وكما يقول هو نفسه فى الاحتفال بالعيد الفضى «لمطبعة المعارف» إنَ: «رأسمالها قوة الإرادة، وحسن الإدارة، وما زالت سائرة على خطتها، مع ما كان هناك من المصاعب الجمة، حتى تمكنت من نشر طائفة غير يسيرة من الكتب الأدبية والعلمية والمدرسية والفكاهية، وأصبحت مطبعة المعارف ومكتبتها إحدى الجهات الكبيرة لصناعة الكتاب، فانتشرت مطبوعاتها فى العالم

العربى أجمع، وعرفت فى كل مكان بمراعاة جميع أصول الطباعة الراقية، لأنها توخت منذ إنشائها ترقية الطباعة، لتضاهى الطباعة الإفرنجية وما بلغت إليه من الاتقان والتفنن»..

وما كان «لمطبعة المعارف» ومكتبتها أن تستمر وتنمو لولا حرصها البالغ ووعى صاحبها الرهيف بضرورة مسايرة أحدث ما وصلت إليه تقنيات الطبع والنشر فى أوربا، كان «نجيب مترى» واعيًا ومتابعًا لتطورات الصناعة فى الخارج، وكان مداومًا على متابعة النشاط ورعايته فى ظل شرط ألزم به نفسه وفرضه على مطبعته الوليدة، وهو ضرورة أن تنهل باستمرار من خبرة المطابع الغربية الفائقة، واضعة فى اعتبارها كل تحسين ممكن لصناعة (الكتاب العربى).

ويكتب «نجيب مترى» فى عام ١٩١٥م (وكان مضى على تأسيس المطبعة ربع قرن): «إن مطبعة المعارف قد أصبحت بمشيئة الله، بعدما جهزناها به من أنواع الحروف المختلفة، والآلات الحديثة، مستعدة للقيام بكل ما يطلب منها طبعه فى اللغات العربية والإفرنجية».

كما نشرت المطبعة فى ذلك الوقت إعلانًا فى الصحف ينوه عن أجناس الحروف الموجودة فى المطبعة وأنواعها واستخداماتها، وعلى سبيل المثال يشرح الإعلان سمات ووظائف حرف بنط ٩ فيقول (يحسن استخدامه لطبع الألقاب والوظائف على بطاقات الزيارة)، وهكذا يستطرد فى شرح وظائف الأبناط الأخيرة التى كان معمولاً بها فى ذلك الوقت..

مطبعة المعارف ومكتبتها

إذن وخلال الفترة من (١٨٩١م - ١٩٢٨م)، نجح «نجيب مترى» بامتياز فى تحقيق حلمه الكبير، ليس بالنهوض بفن الطباعة فى مطبعته فحسب، بل كان تأثيره كبيرًا وطاغيًا على الطباعة فى مصر كلها، وذلك من خلال العمال الذين تدربوا فى مطبعته

وأصبحوا كوادر فنية محترفة، وخرجوا من عنده لينشروا فن الطباعة فى مختلف أرجاء المحروسة.

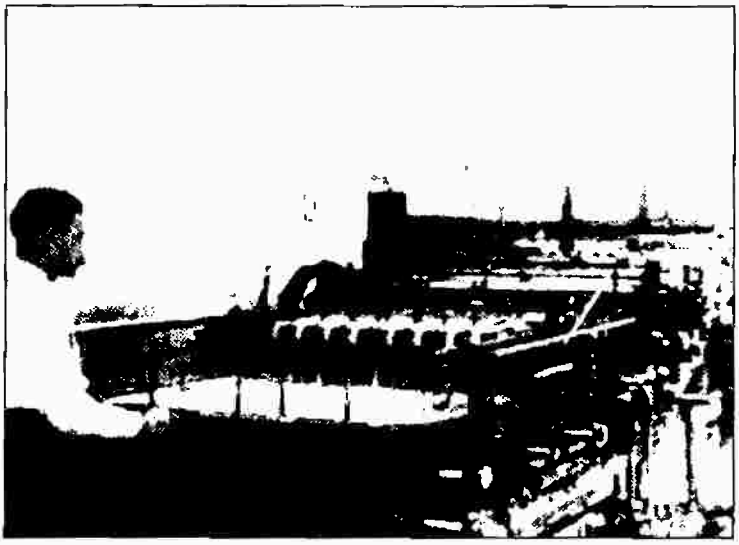

المطبعة الأولى لدار المعارف بالفجالة

وخلال تلك الفترة أيضًا، صدر قسم كبير وزاخر ووافر من المطبوعات العربية؛ الثقافية والفكرية والأدبية، العلمية والاقتصادية، وفى مجالات شتى عن تلك المطبعة الصغيرة التى كانت تسمى بـ (مطبعة المعارف ومكتبتها) لصاحبها «نجيب مترى». لكنها وبعد هذه السنوات لم تصبح صغيرة، بل شبت عن الطوق، واشرأبت بعنقها لتطاول غيرها وتنافسها وتتفوق عليها أيضا، صارت (مطبعة المعارف ومكتبتها) مقرا وملتقى لرجال التأليف وأرباب القلم فى مصر، ومن يحاول أن يكتب تاريخ تلك الفترة ويؤرخ لما صدر عن «مطبعة المعارف» من «المؤلفات النفيسة والمصنفات الممتعة» فقد نجح فى كتابة تاريخ الأدب العربى والثقافة العربية فى ما يزيد على ربع القرن، ومن أراد أن يصف المشاهير الكتاب والأدباء والشعراء الذين ارتادوها وجلسوا بين

جدرانها فقد أراد أن يذكر معظم الذين ألفوا وترجموا فى هذه الحقبة الباهرة من تاريخنا الثقافى.

ولكى لا يكون كلامنا على عواهنه، مرسلاً بلا دليل، فإن فى ما كتبه «أنطون بك الجميل»(*) بمناسبة الاحتفال بالعيد الفضى لمطبعة المعارف سنة ١٩١٦م، خير دليل وأوضحه على ما نقول، فالرجل يرسم صورة ناصعة لما وصلت إليه مطبعة المعارف من مكانة سامية وراقية ويسرد فضلاً باهرًا من هذا التاريخ، ويروى مشاهد وحكايات من دفتر الثقافة المصرية والعربية، سجلها أحد رجالات هذا العصر البارزين.

أنطون بك الجميل

يصف «أنطون بك الجميل» فى خطابه التاريخى (الذى ألقاه بمناسبة الاحتفال بالعيد الفضى لمطبعة المعارف سنة ١٩١٦م)، بعضا من المشاهد والزيارات التى قام بها إلى مقر المطبعة، ويصف أيضا كيف كانت.. يقول:

"فى إحدى زوايا المطبعة قطعة أثاث، سموها ما شئتم منضدة أو مكتبًا أو طاولة. فكل هذه الأسماء تنطبق عليه لأنها كثيرًا ما تقوم بجمع الوظائف التى تدل عليها هذه الألفاظ.. حول هذه الطاولة أو المنضدة اجتمع فى فترات مختلفة كتّاب ومؤلفون، مختلفون نزعةً ومنهجًا وأسلوبًا، مثقفون أدبًا وكرمَ أخلاق وسعةَ معارف.

إلى هذه الطاولة جلس وزراء ووكلاء وزارات ومديرون وقضاة ومحامون وأدباء وشعراء، فعقدوا حولها جلساتٍ لطيفة وقد ساوت بين الجميع حرفة الأدب وصناعة التأليف. فهذا يصحح «بروفة»،

(*) هنا هامش ثان عن أنطون الجميل/ كاتب وصحفى بارز وعضو مجلس الشيوخ المصرى ومؤسس مجلة «الزهور» ومدير تحرير صحيفة «الأهرام»، وصاحب وسام الباشوية من خديو مصر.

وذاك يبحث عن كلمة، وذلك يكتب تتمة فصل من فصول كتابه، والآخر يراقب طبع ملزمة يهمه أمرها، وهذا يناقش ذاك فى موضوع أو عبارة، فكأنهم قفير نحل يشترون عسلاً والكل فى ذهاب وإياب.

حكاية «فارس بلا جواد»

ولا يقتصر اسم «أنطون الجميل»، وكان من رواد الثقافة اللبنانية فى مصر، على الاحتفاء والإشادة «بمطبعة المعارف ومكتبتها» لصاحبها «نجيب مترى»، فقد كان أحد كتابها ومؤلفيها، وربما لا يعلم الكثيرون أن مجلة «الزهور» الثقافية العظيمة التى أسسها أنطون الجميل (بالاشتراك مع الشيخ أمين تقى الدين) سنة ١٩١٠م واستمرت حتى ١٩١٣م، كانت تصدر أعدادها عن مطبعة المعارف (جمعت الأعداد الكاملة فى ما بعد وصدرت فى أربعة مجلدات ضخمة)، وكانت المجلة منبرًا لكبار أقلام العصر من الشعراء والكتاب من أمثال: «أحمد شوقي، وحافظ إبراهيم، وخليل مطران، ومصطفى لطفى المنفلوطى، ومى زيادة، وشبلى شميل، وفليكس فارس.. وآخرين».

على صفحات هذه المجلة التى كانت تصدر عن (مطبعة المعارف ومكتبتها بالفجالة) يورد «أنطون الجميل» هذه الحكاية الطريفة والجميلة والممتعة معًا، بطلها واحد من أشهر الشخصيات فى تاريخ الصحافة والكتابة الساخرة والنضال السياسى أيضًا، ودون أن نتدخل فى السياق سنترك القارئ مع تفاصيل الحكاية، ثم نعلق عليها بإيجاز، يقول «أنطون الجميل»: ١٩١٢ م.

قصدتْ مطبعةَ المعارف منذُ مدةٍ سيدةٌ وطنيةٌ اسمها و«سيلة محمد»، وعرضت على «نجيب أفندى مترى»، صاحب المطبعة، نشر كتاب عنوانه «روح الاعتدال» لواضعه «شارل وانين». فارتاح «مترى أفندى» إلى موضوع الكتاب الجليل ورآه جديراً بالنشر باللغة العربية لما فيه من الفائدة للبلاد فطبعه؛ وتناولت الصحف

الكتاب بكلمات الإطراء، وأقبل عليه القراء أيما إقبال، وقررت مدارس كثيرة تدريسه.

وبعد مدة وجيزة عادت «وسيلة محمد» إلى مطبعة المعارف وبيدها نسخة من كتاب آخر، عنوانه «غاية الإنسان» فلم يتردد «نجيب أفندى مترى» فى قبوله إذ رآه لا يقل فائدة عن الكتاب المتقدم ذكره. فطبعهُ ونشره فى الشهر الماضى وكان له نصيب كبير من إقبال القراء. وفى أوائل أكتوبر عادت «وسيلة محمد» إلى المطبعة ومعها القسم الأول من ترجمة كتاب الناشئة، وفى ١٠ أكتوبر قبض البوليس على «حافظ نجيب»، فحال دون إنجاز الكتاب الثالث من هذه الكتب التى كان ينشرها «حافظ» باسم زوجتهِ - وهى لا تدرى من سرّ زوجها شيئا.

أهدت «وسيلة محمد» كتابها الأول إلى ابنتها العزيزة فقالت - أو قال «حافظ نجيب» - «أنت اليوم طفلة فى المهد، تزك ابتسامتي، ويكفيك حنوي. وطفلة اليوم أم الغد.. والزمان قُلّب، والغد مجهول، فقد لا أكون إلى جانبيكِ إذ ذاك، فترجعين إلى هذا الكتاب.. فتؤثرين العمل بما فيهِ من الآراء السديدة على ما يجدو إليهِ نزق الشباب، أو جنون الصبا، وطيش الرعونة.. وإذا ما أعوزتكِ النصيحة فإن فى آراء الكتاب الاجتماعيين ما قد ينوب عن نصيحة أم ثوت، أو والدٍ قُبر، هذه هديتى. فإن تعلمت علمًا صحيحًا وكنتِ رقيقة العواطف، عرفتِ منها كم كنت أحبك وأرغب فى نفعك».

والكتاب الثانى أيضاً مُهدى إلى الابنة العزيزة وقد جاء فى كلمة الإهداء:

«الدّهرُ عِبَر، والحياةُ سِيَر، والنفس بينهما لا تستقرّ، فمن تتقى الأيام تأمن عِبرها ومن تعرف الحياة تتحمل سيرها. والحوادث جائية ذاهبة، والأعمار فانية ناضبة، فالحال لا تدوم أسعدتْ أم أشقتْ، والذكرى لا تفنى قبحت أم حسنت. فاتقى بنيتى العاقبة الأخرى، وآرائه. على أنهُ لا يسعنا قبل الختام إلاّ إبداء الأسف لضياع مثل

هذا الذكاء النادر، ولو عرفت الحكومة الآن أن تقوده فى الطريق المستقيم لنفعت وأفادت كثيرًا.

ويَرد اسم الأستاذ «حافظ نجيب»(*) ضمن قائمة كبار مؤلفى (مطبعة المعارف ومكتبتها) الذين تعاونوا معها وأخرجوا كتبهم فيها، وجاء التعريف به والتنويه بأثره فى القائمة المذكورة كما يلى:

«هو ذلك الأديب دارت بينه وبين الدهر معارك هائلة كان لها دوىّ شديد، ومدى بعيد، وحديث طويل عريض، لو خاض غمارها سواه من ذوى الحيلة الضيقة لسقط ساعته خائر العزم متحطم القوى، ولكنه خرج منها بدهائه كما يخرج الفجرُ من جوف الليل وبين أنامله قلم الأديب البارع والصحافى الماهر والكاتب الاجتماعى القدير. أما أسلوبه فى الإنشاء فهو الأسلوب الراقى العذب. ومن آثار قلمه طائفةٌ قيمةٌ من الكتب فى موضوعات شتى اجتماعية وأخلاقية، تنم عن شعور رقيق، وهى: «روح الاعتدال»، و«غاية الإنسان»، و «الغرور»، و «الناشئة»، و «محاضرة فى التربية والأخلاق» وغير ذلك. وله فى الصحف والمجلات مباحث وجولات تشهد له بالبراعة وحدة الذكاء.

وأوردت مجلة «الزهور» أيضًا فى عددها المشار إليه تلخيصًا رائعًا لسيرته، وكشفت السر وراء شهرته، والظروف التى ربطت بينه وبين (مطبعة المعارف ومكتبتها)، ولعل هذا التعريف أو هذه الترجمة الموجزة «لحافظ نجيب» لا تقل طرافة ولا إثارة عن قصة نشر كتبه باسم مستعار فى «مطبعة المعارف»، يورد محرر مجلة «الزهور» ما يلى عن ما أسماه «النابغة فى الاحتيال» كتب يقول:

«لما سألنا قراءنا هذه السنة عن النوابغ فى مصر، أجابنا كثيرون منهم ذاكرين «حافظ نجيب» النابغة فى الاحتيال. والحق يُقال أنهُ

(*) حافظ نجيب هذا الذى يتردد اسمه فى الحكاية السابقة، هو الشخصية التى استلهم منها الفنان «محمد صبحى» دراما مسلسله الشهير «فارس بلا جواد» الذى تابعه الملايين بشغف كبير، وبغضّ النظر عن التغييرات التى أدخلها صناع المسلسل على الشخصية والمعالجة التى باعدت بالمسلسل عن الأصل المأخوذ عنه مسافات بعيدة، فإنه قد أحيا الاهتمام بهذه الشخصية المثيرة، ذائعة الصيت التى ذكر «نجيب محفوظ» فى كثير من حواراته وإشاراته لطفولته ونشأته إلى تأثره الشديد بها وشغفه بالقراءة لها وعنها.

لنابغة فذٌ فى بابه، يُعَدُ أرسين لوبين واللص الشريف وسائر أبطال روايات البوليس السرى عيالاً عليه. كانت المحاكم قد حكمت عليه ثلاثة أحكام غيابية لاتهامه بالنصب والاحتيال فى حوادث غريبة الوقائع، وحكمت عليه مرة حكمًا حضوريًا، ولكنه تمكن من الفرار من سجن فى ٢٧ ديسمبر سنة ١٩٠٧م، وظل خمس سنوات ينتقل فى القطر المصرى والبوليس ينقب عنه وهو يواصل أعماله الغريبة. ذهب إثر هربه من السجن إلى الوجه البحرى، ودخل فى دير أشوارى، وادعى أنه راهب واسمه "غبريال جرجس" وبقى هناك بضعة شهور اكتسب فى خلالها ثقة الجميع، حتى أصبح صاحب الكلمة المسموعة وحينئذ احتال على رئيس الدير وأخذ مبلغ ستمائة جنية واختفى. ثم قصد دير المحرق متخذًا اسم الراهب «غالى جرجس» وراسل من هناك بعض صحف العاصمة، وكان له كتابات تُذكر فى موضوع الخلاف الذى كان قائمًا فى ذلك العهد بين الجرائد الإسلامية والجرائد القبطية. ولما افتضح أمره، غادر الدير واختفى أثرهُ إلى أن كان اليوم العاشر من أكتوبر ١٩٠٧م. فقد بلغ البوليس أن "حافظًا" موجود فى دائرة قسم مصر القديمة وهو متنكرٌ يحترف حرفة درويش يعطى عهودًا فهاجمتهُ قوة من رجال البوليس فوجدوه محاطًا بعدد كبير من الدراويش فى حلقة ذكر، ولما رآهم مقبلين إليه، أخذ يكبر بصوت عال اللّه! اللّه! ولما قبضوا عليه، ادعى أنه "الشيخ عبد اللّه إبراهيم" من المنوفية، وأن اللّه يخلق من الشبه أربعين. على أن إدعاءه هذا لم يجده نفعًا، وسيق إلى السجن. وكان مدة إقامته فى مصر العتيقة قد اقترن بإحدى جاراته - وهى تجهل حقيقة أمره - ورزق منها ابنه سماها "عزيزة" وهى الآن فى حولها الثانى. هذا شئ قليل من نوادر هذا الرجل الغريبة. وما كنا لنشغل بها قراء ثمرات المطابع لولا أن الرجل كاتب بليغ، وله مصنفات نفيسة».

كان لافتا أن تكون الكتب الخمسة الأهم التى نشرها «حافظ نجيب» قد صدرت عن (مطبعة المعارف ومكتبتها بالفجالة)، ولعل هذا يعطى مثالاً بينا عن المكانة التى كانت تحتلها «مطبعة المعارف» آنذاك، وكيف كانت من كبريات دور النشر بلا جدال، يقصدها المؤلفون والكتّاب من كل حدب وصوب، وترى أيضا أن تأشيرة «نجيب أفندى مترى»، أو إجازته الحاسمة بنشر كتاب ما، يعنى إعطاء تأشيرة الشهرة والكسب المادى لصاحب الكتاب، ونقله فوزا إلى صدارة المشهد الأدبى والثقافى فى مصر والعالم العربى.

«هدية الإلياذة» .. لنجيب مترى (١٩٠٥م)

احتفت الحياة الثقافية العربية احتفاء كبيرًا بظهور تعريب «سليمان البستانى» لرائعة هوميروس الخالدة «الإلياذة». واستمرت الاحتفالات وأنواع التكريم لأشهر عدة طوال سنة ١٩٠٤م التى صدرت فيها «الإلياذة» منظومة باللغة العربية. وتبارى الكثيرون فى الكتابة والخطابة ونظم القصائد تحية «للبستانى»، وكان من الممكن ألا يعرف أحد تفاصيل هذا الاحتفال وما ألقى فيه من خطب وقصائد، فلا يطالع الكلمات التى قيلت فى الحفل أو البرقيات التى وصلت إلى «سليمان البستانى» لتهنئته، ولا الخطابات والمقالات والقصائد الى نشرت فى الجرائد والمجلات، لولا «نجيب مترى» صاحب (مطبعة المعارف ومكتبتها) التى تولت طباعة التعريب وتوزيعه. ويحتفى «جابر عصفور» فى كتابه «فى محبة الشعر» بصنيع «نجيب مترى» فى هذا الكتاب وإخراجه له احتفاء كبيرًا، يقول: «وكان نجيب مترى شاعرًا أديبًا عاشقًا للأدب، صديقًا للبستانى، ممتلئًا بالحماسة لمشاركته فى إخراج "الإلياذة" إلى النور بالعربية، ولذلك، وتعبيرًا عن التقدير والحماسة لهذا العمل الثقافى الجليل، قام "نجيب مترى" بجمع ما

كتبه أرباب المقامات السامية وأصحاب الصحف والمجلات والأدباء والشعراء عن ظهور "الإلياذة" مع تفصيل الحفلة الوطنية التي أقيمت تكريمًا لسليمان البستاني».

وتولى «نجيب متري» طباعة هذا كله في كتاب وصفه «جابر عصفور» بـ «لم أر له مثيلا في ثقافتنا العربية». وأطلق على الكتاب اسم «هدية الإلياذة» (في ١٠٨ صفحات من القطع الكبير) وأصدره من مطبعته ومكتبته سنة ١٩٠٥ أي بعد مرور عام تقريبا على صدور الترجمة، وبعد أن اكتملت الاحتفالات بها والكتابة عنها.

وهذا التقليد جمع المقالات والكلمات الاحتفائية بمناسبة صدور كتاب ما أو على شرف شخصية لها قيمتها ومكانتها الثقافية والفكرية، ربما كان "نجيب متري" أول من يرسخ له بفعلته هذه في ثقافتنا الحديثة، ويكون في الرواد في تدشين فكرة الكتب التذكارية والتوثيقية للمناسبات التاريخية أو الأحداث والشخصيات ذات المكانة الثقافية المعتبرة.

وإن كان من دلالة يمكن استخراجها من مثل هذه الروايات والوقائع، فأبرزها في ظني هو انشغال «نجيب متري» انشغالاً تاما وكاملاً بالكتاب المطبوع، باعتباره التجلي الأكمل لمنجزات العقل الإنساني وتخليده، كان «نجيب متري» يفكر بالكتاب وللكتاب، ويسعى طوال الوقت إلى إخراج الكتب الفريدة، المهمة، التي تضيف إلى مجالتها المعرفية وتترك بصحة لا تمحى يتقصى الموضوعات ويحتفي بالمؤلفين ويهتم اهتماما بالغا شكل الكتاب وجودته وتدقيقه، وهو ما يظهر في هذه اللمحات من تاريخ «مطبعة المعارف ومكتبتها» خلال الفترة التي كان يتولى فيها إدارتها، بعد تأسيسها، وترسيخ وجودها بين أهل الطباعة والنشر في ذلك الزمن البعيد.

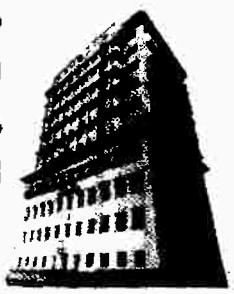

احتفاء راقٍ بكتاب مترجم

وعلى صفحات جريدة «المحروسة» التى كانت تصدر آنذاك، فى عددها الصادر بتاريخ الأول من فبراير عام ١٩١٦م سنجد مقالاً كتبته الآنسة مى(٥)، الشخصية اللامعة وصاحبة الصالون الأدبى الأشهر فى تاريخ مصر فى النصف الأول من القرن العشرين، وهى الأديبة الأريبة مى زيادة، عن كتاب قام بتعريبه حضرة «أنطون بك الجميل» وعنوانه «الفتاة والبيت».

جاء فى هذا المقال ما نصه «كجميع الكتب الصادرة من مطبعة «نجيب أفندى مترى»، هذا الكتاب من حيث فن الطباعة آية حسن ذوق وإتقان، وإذا ما قلبت صفحته الأولى استوقفتك رسالة من أستاذنا الكبير «إسماعيل صبرى باشا» الذى يفتخر الأدباء جميعًا بكونه «رئيسهم»، رسالة هى خلاصة رأى سعادته فى هذا السفر الطيب وفى مؤلفته ومعربه الفاضلين. ثم يتقدم فكرك «خطوة» بين صفحاته، ويتناول اهتمامك فصوله واحدًا بعد واحد مع ما يسبكها من أسلوب رشيق وعبارة أنيقة وتشكيل موضح وفن فى الطباعة متقن، حتى إذا ما أتيت إلى آخره قلت: «لقد استشعر (الرئيس) بفكر كل قارئ للكتاب يوم خط رسالته فيه» وإذا كنت مُحبًا لترقية المرأة وترقية النوع الإنسانى بالتبع، سارعت بإهدائه إلى كل فتاة لديك عزيزة، إلى ابنتك وأختك وقريبتك. إنى لا أعرف حضرة مؤلفته شخصيًا لأشكرها، على أنى أعرفها معنويًا، وكأننى سمعت من خلال سطورها نغمة نفسها العذبة فى إرشادات ونصائح لا تأتى إلا من أم ذكية مدبرة لطيفة، ذات نظرة نفاذة وكلمة فعالة.

أما حضرة مُعرِّبه "أنطون أفندى جميل"، فهو مفكر دقيق الملاحظة، ولا يذهلنا اهتمامه اليوم بأمر تربية الفتاة، وقد كان لهذا الموضوع الخطير صفحات واسعات فى مجلته «الزهور»، هو يرى

(٥) هى الآنسة «مارى زيادة» كريمة «إلياس بك زيادة» صاحب جريدة المحروسة، وكانت توقع ما تكتبه عادةً باسم «الآنسة مى» أو كلمة «مى» وحدها.

النقص الهائل فى تربية فتاة اليوم فيؤلمه أمرها و يحاول مساعدتها ما استطاع، ولعلّ ما من أحد يرى زلات الفتيات ويود إصلاحها أكثر من الشبان إذا كانوا على جانب من العلم والتفكير، نعم يا صديقتى، الشاب الذى لا يعرفك ولا أمل له فى الاجتماع بك يومًا إذا كنت محجوبة يحاول استجماع كل ما يُقال عنكِ وكل ما ينُمّ عن طويتك ليبنى عليكِ حكمه، والشاب الذى تقابلينه فى الاجتماعات- إذا كنتِ من السافرات- ذاك الذى ينحنى أمامك باحترامه الاتفاقى وأدبه الاجتماعى، ذاك الذى يسكب أمامك أعذب ابتسامة تعلمها فى الصالونات ساردًا أرقى ما لديه من العبارات المُحنّطات، هذا لك أعظم ناقد، أنت تنسين ذلك لكثرة الوجوه المارة أمامك، ولكن هو لا ينسى أن يلاحظ حركات كل فتاة يراها، ويدرس كل خصائصها ليطلق عليها حكمه النهائي، لعل الضجر الآفةَ الكبرى فى حياة الفتاة، هى مكفولة باهتمام والديها بها، فلا واجبات تستغرق فكرها ووقتها ولا مسؤولية تجعلها شاعرة بقوة شخصيتها وأهميتها، أما تبادل الزيارات والاجتماعات الكثيرة أو القليلة، فإذا كانت كافية لإرضاء بعض الفتيات- وفى هذا إشارة غير حسنة لأنه ينُمّ عن فكر سطحى ونفس قانعة من الحياة بقشورها اللامعة- فإن البعض الآخر يكاد يختنق مللًا، وأثر الملاهى الاجتماعية لا يأخذ فى نفسه إلا المكان الذى يستحقه، قالوا إن السآمة علامة النفس الشريفة، هذا صحيح بشرط أن تكون السآمة حادثًا مارًا أو حالة نفسية مؤقتة، إذ تنمّ عن رغبة فى تلك النفس إلى حياة أرقى وأهم وأجمل وهذا ميل إلى الكمال دائمًا، أما السآمة المستديمة فهى قتّالة للقوة والنشاط النفسيين ومرضعةُ الكسل ووهن العزيمة، ومُؤدّية حتمًا إلى التلاشى الشخصى.

كتاب كبير يحوم على كل أثر من آثار حياة المرأة، يطبعه «نجيب أفندى مترى» و نجد فى أول صفحاته لا رسالة من «الرئيس» نثرية، بل قصيدة، قصيدة فى تحرير المرأة».

هكذا كان يحتفى كبار الكتاب والأدباء بإصدارات مطبعة المعارف ومكتبتها، لا فقط من حيث روعة الإخراج وجودة النشر وتدقيق النص، إنما فى الأساس من اختيارات الكتب التى كان يتحمس لنشرها وإذاعتها «حضرة نجيب أفندى مترى» الناشر المثقف، كان النشر آنذاك رسالة، يساهم مساهمة فعالة فى تلك النهضة التى تشكلت ونضجت وآتت أكلها خلال الفترة من النصف الثانى من القرن التاسع عشر وحتى النصف الأول من القرن العشرين.

وهذا نموذج دال من عشرات النماذج، بل المئات، التى يمكن جمعها وإيرادها فى مؤلف مستقل يحمل كتابات عدة ومقالات متنوعة لرواد النهضة فى ذلك الوقت، يكتبون عن الإصدارات والكتب التى كانت تخرجها آنذاك مطبعة المعارف ومكتبتها خلال ما يزيد على ثلاثة عقود.

إعلانٌ عن كتاب

ومن الدلائل على بلوغ (مطبعة المعارف ومكتبتها) فى ذلك الزمان شأوا بعيدا ومكانة رفيعة فى سوق النشر وعالم الكتاب، أن الإعلان عن كتبها وإصداراتها كان يتم بطريقة لا توحى بأنها مجرد إعلان عن كتاب عابر، بل بحدث ثقافى رفيع، يتم الإشارة فيه إلى عنوانه وأهميته ومحتواه وفضل كاتبه ومكانته بين الكتاب، مثلا عندما أصدرت المطبعة كتاب «خواطر فى القضاء والاقتصاد والاجتماع» لصاحبه «على أبو الفتوح باشا»، وكان يشغل وقتها منصب وكيل نظارة المعارف العمومية المصرية (وزارة التعليم حاليا)، كتب «نجيب مترى» يقرظ الكتاب وصاحبه فى مقدمة وافية له، يقول فيها: «ليس بين أبناء اللغة العربية الشريفة من يجهل ما للمرحوم «على أبو الفتوح باشا» وكيل نظارة المعارف المصرية سابقا من روائع الأفكار وكرائم

الآثار»، أما الإعلان عن الكتاب (على صفحات مجلة الزهور فجاء بالصيغة الآتية:

كتاب (خواطر فى القضاء والاقتصاد والاجتماع) بقلم فقيدِ العلم والعمل والجد المرحوم «على أبى الفتوح باشا» وكيل نظارة المعارف العمومية المصرية، طبعه بإذن المؤلف «نجيب أفندى مترى» صاحب مطبعة المعارف بمصر فى سنة ١٣٣١هـ - ١٩١٣م على ورق جيد طبعًا نظيفًا فجاءت صفحاته ٢٦٠.

الكتاب مجموعة مقالات كانت متفرقة فى الجرائد والمجلات العربية وغير العربية، فجمعت فى حياة كاتبها، ومر عليها فأصلح فيها ما أراد، وزاد فى بيان المراد، وهو يطلب من ناشره، ومن مكتبة المنار بمصر. جملة مسائل الكتاب مما اشتغل به مؤلفه علمًا وعملاً، فجاءت وافية واضحة مفيدة، و نحن ننقل طائفة عنه من مقالة (الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية). قال: (يظن كثير من الناس حتى من المسلمين أنفسهم أن المبادئ المقررة فى الشريعة الغراء لا توافق هذا الزمان الذى بلغ فيه الإنسان من المدنية والحضارة درجة رفيعة، ويتوهمون أن الأحكام والروابط التى فى القوانين الحديثة الوضعية لا مقابل لها فى الأصول الإسلامية، وأنها بمثابة الاختراعات المادية الجديدة التى أنتجها فكر علماء الغرب لم يسبقهم بها أحد.

ولكن الباحث فى الفقه الإسلامى ولو قليلاً، لا يلبث أن يغير هذا الظن، ويتحقق من أن أسلافنا بلغوا فى الرفاهة وتقرير المبادئ العمرانية والاجتماعية والقضائية شأوًا قلما يجاريهم فيه أحد، إلا أن صعوبة كتب المتأخرين، وكيفية تآليفها، والتواء أساليبها، وتعقيد عباراتها، قد أوصد الباب فى وجه من يريد الوقوف على حقيقة الشريعة الغراء من غير المنقطعين لدراستها. ولذلك، فإنى أشير على من يسلك هذا الطريق أن يقصد المؤلفات القديمة لأنها أسهل موردًا، وأغزر مادة مع خلوها من التعقيد، وتنزهها عن

المشاغبات اللفظية، وليترك هذه الكتب الحديثة للمنقطعين لفهمها بدون ملل، ولا حساب للوقت.

هكذا جاء الإعلان عن الكتاب، وهو بصيغته الجزلة ولغته العالية، لا يمثل إعلانًا بالمعنى الذى نعرفه الآن، إنما هو عرض مكثف للكتاب ومحتواه وموضوعاته بما يشبه مقالاً قصيرًا وافيًا بمضمونه، وهو يدل على مدى الاهتمام والوعى بقيمة الكتاب ونشره وطريقه الإعلان عنه والترويج له، وهو ما يدخل فى باب الدعاية والتسويق بأفكار مبتكرة تكاد تطابق ما وصلت إليه أحدث مستجدات هذين المجالين فى عصرنا الآن. ويجب ألا ننسى أننا نتحدث عن كتاب يتم الإعلان عنه فى سنة ١٩١٢م.

نماذج من الإصدارات

خلال الفترة التى ظهرت فيها «مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر»، اضطلعت بنشر طائفة ضخمة من الكتب والإصدارات القيمة فى المجالات كافة، كان من أظهرها وأشهرها (الموجز فى علم الاقتصاد) خمسة أجزاء، ترجمة الشاعران «حافظ بك ابراهيم»، و«خليل أفندى مطران»، وكتاب فى «التربية والأخلاق» (جزءان) لمؤلفه أيضا «حافظ بك إبراهيم»، بالإضافة لكتيب فى الاقتصاد من تأليف «حافظ بك إبراهيم» أيضا.

ونشرت كتابات لرائد أدبى هو «عبد الله فكرى» بعنوان (الفوائد الفكرية)، وغيرها من الكتب المقررة على طلبة المدارس فى ذلك الوقت.

وفى الأدب والثقافة العامة والسياسة، نشرت «مطبعة المعارف» كتبًا كثيرة، من أهمها (مختارات الزهور)، وهذه مجموعة شعرية لأمراء الشعر فى ذلك العصر، وهم «إسماعيل صبرى باشا، وأحمد شوقى بك، وخليل مطران بك، وولى الدين بك يكن، وحافظ بك ابراهيم، وأحمد محرم، وحفنى بك ناصف. وغيرهم».

وهـذه المختـارات كانـت تنشـر فـى مجلـة الزهـور لصاحبيها «أنطون بك الجميل، والشيخ أمين تقى الدين» التى كانت تصدر أيضا عـن «مطبعة المعـارف ومكتبتها». وكانت هـذه المختارات رائجـة جدا فى ذلـك الوقت.واسـتعانت المطبعة بمجموعـة أعلام- آنذاك- أثروا المكتبة بكتب جادة ومهمة فى تخصصاتها.

أيضـا هنـاك كتابات عربهـا «وديع البسـتانى» (مترجم عمر الخيـام) منهـا «معنى الحياة»، و«السـعادة والسـلام»، و«مسـرات الحيـاة»، و«محاسـن الطبيعـة»، وكلهـا لمؤلـف واحـد هـو «لورد أفـيرى»، ويكتب «البسـتانى» فـى مقدمة «محاسـن الطبيعة»: «هذا الكتاب كسـائر مؤلفات «لورد أفيرى» آية من آيات السـحر الحـلال وقد بحث فيه المؤلـف فى عالمى الحيوان والنبـات، ثم تناول وصـف المناظر التى يتألـف منها عالم المشـاهدة كالبحور والأنهار والبراكين والجبال والأودية والأفلاك على اختلاف أنواعها».

وتأتى بعد ذلك الكتب المهمة التى نقلها المرحوم «أحمد فتحى باشـا زغلول» (شـقيق سـعد زغلول) والذى رحل عـام ١٩٤١م، وإن كان لهـذا الرجل موقف سـلبى فـى قضية دنشـواى، إلاأن كتبه المترجمة كانت مقروءة كثيرًا، مثل (سـر تطور الأمم) للفرنسـى «جوسـتاف لوبون»، وكتاب (سـر تقدم الإنجليز السكسونيين) «لإدمونـد ديمولانـد»، وجوامـع الكلم «لجوسـتاف لوبـون»، غير الكتـب المؤلفة له مثل (شـرح القانـون المدنـى) و(المحاماة) وظلت هـذه الكتب تطبع المرة تلو المرة، وعلى رأسـها كتاب (سـر تقدم الإنجليز السكسـونيين)، الذى لاقى عنايـة ورواجا بين الجمهور المثقف فى هذه الفترة.

وهناك أيضا مجموعة الدكتور «شـبلى شميل»، وهى تشتمل علـى مقالات فى مذهـب (داروين) فـى أصل الأنواع وتحولها وشـرح "بخنـر" وهذه المقـالات هى أول الغيـث الذى هطل فى هـذا الموضوع، كما تشـتمل المجموعة على مباحث دقيقة فى موضوعات شـتى: عمرانية وطبيعية وعلمية وتاريخية وأدبية وسياسـية وانتقادية

وفكاهية. كما نشرت المطبعة ترجمات «ألكسندر وماس» لواضعها «نجيب الحداد»، وروايات «يعقوب صروف» مثل (فتاة مصر) وروايات «فرح أفندى أنطون» (الوحش الوحش الوحش)، وجاء على غلافهما: (رواية أدبية غرامية اجتماعية، ذات مشاهد لبنانية، ومبادئ شرقية، وأفكار غريبة) وهناك الرواية الضخمة (الثورة الفرنساوية) «لإسكندر ديماس»، ترجمها «فرح أنطون».

وربما تكون المرة الأولى التى يعرف فيها القارئ الكريم أن (مطبعة المعارف ومكتبتها) هى التى أخرجت لجمهور القراء فى مستهل العقود الأولى من القرن العشرين الطبعات الأولى من كتب «قاسم بك أمين» التى أحدثت هزة فى المجتمع المصرى مثل (تحرير المرأة) و(تحرير مصر) وكتاب «محمد المويلحى» الشهير (حديث عيسى بن هشام) وكتاب (دفاع المصرى عن بلاده) «لمصطفى باشا كامل»، كما أخرجت طبعة حديثة من الكتاب التراثى الأشهر (دلائل الاعجاز) لإمام البلاغيين «عبد القاهر الجرجانى»، و(الريحانيات) «لأمين الريحانى»، و(سر الليالى فى القلب والإبدال) «لأحمد فارس الشدياق». و(طبقات الأمم) «لجورجى زيدان»، و(الصحائف السود) «لولى الدين يكن»، و(المدنية والإسلام) «لمحمد فريد بك وجدى».

وفاة «نجيب مترى»

خلال الفترة من عام ١٨٩٠م وحتى ١٩٢٨م وهى السنة التى توفى فيها «نجيب مترى»، استطاع هذا الرجل العظيم أن ينهض بهذا الكيان الوليد وأن يرسخ أقدامه، ويستطيع خلال تلك الفترة التى تصل إلى ما يقرب من ثمانية وثلاثين عاما أن يصل بـ «مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر المحروسة» إلى أن تصبح من أهم دور النشر المصرية والعربية دون أى مبالغة، واستطاع بفضل ذكائه وقدراته وجهده الكبير فى أن يجعل الدار قبلة لكل الكبار والمشاهير من الشعراء والأدباء فى ذلك الوقت، نذكر

منهم على سبيل المثال وليس الحصر، «أمير الشعراء أحمد شوقى، وشاعر النيل حافظ إبراهيم، وشاعر القطرين خليل مطران، وولى الدين يكن، وآخرون».

وفى ٢٦ نوفمبر سنة ١٩٢٨م، توفى الرائد المؤسس «نجيب مترى» عن ٦٣ عاما، بمنزله الكائن فى رقم ١٤١ بشارع الملكة نازلى (شارع رمسيس حاليًا) بغمرة.

قالوا عن «نجيب مترى»

لم ينس فضلاء الأدب ومشاهير الكتاب والسياسيين وكبار رجال المجتمع فى ذلك الوقت، فضل «نجيب مترى»، وعبروا عن حزنهم البالغ لوفاته، وكتبوا كلمات بالغة الرقة فى رثائه وتأبينه، ومنهم من سجل بعضا من آثاره ودوره فى خدمة الطباعة والنشر وإخراج الكتب، منها الكلمة التى كتبها حضرة المؤرخ المحقق الكبير الدكتور «أحمد فريد رفاعى بك» سنة ١٩٣١م بمناسبة الاحتفال بمرور أربعين سنة على إنشاء «مطبعة المعارف ومكتبتها»، يقول فيها:

«وإنه إذا كان كتّابنا جميعا يعترفون بصحة ما أثبته أحد كرام مؤلفينا الفضلاء فى كلمة قيّمة ألقاها فى العيد الفضى عام ١٩١٦م، حيث يقول: ولى عادة فى الطبع لا يرضى بها ولا يتحملها إلا صاحب «مطبعة المعارف»، أو من كان له صبرُ صاحبها وسماحته وطيب أخلاقه؛ كنت أعقد فصلا وأقدمه للطبع، فتصدر المطبعة منه مثالا وتعيده إلىّ لأراجعه فلم أكن أكتفى بمراجعته طبق الأصل، كما هى عادة الكتاب والمؤلفين، بل كثيرًا ما كنت أزيدُ على الأصل أو أنقُص منه، وأغير وأبدل فى معانيه وألفاظه تغييرًا يوجب فى أكثر الأحيان قلب الصفحات كلها رأسا على عقب». وكان ذلك كله بمشاركة ورأى ومشورة صاحب الدار وموافقته، وكان يتدخل فى كثير من النصوص المعروضة عليها لنشرها، يقرأها استيعابًا ويبدى رأيا

ويقترح اقتراحا ولا يتنازل عن تعديل مصيب يستوجب التنفيذ. هكذا كان «نجيب متري أفندي»، وهكذا رسخ سمعة الدار التي أنشأها ورعاها وصارت قبلة لكل كاتب وشاعر وأديب من المحيط إلى الخليج.

وكتب حضرة الأستاذ الكبير «محمد أمين بك لطفي»، السكرتير العام لوزارة المعارف المصرية سابقا، يشيد بما تركه «نجيب متري» من أثر باق وإنجاز كبير، كتب يقول:

«وكل شيء في هذه المطبعة يشير أبلغ إشارة إلى الجهود العظيمة التي بذلها مؤسسها المرحوم (نجيب متري) وإلى قوة العزيمة التي كان يتحلى بها في إدارة العمل، فقد كان سباقا في حلبة الإتقان مفطورًا على الميل الصحيح إلى هذا الغنى العظيم معروفًا بسلامة الذوق ورقة الجانب وكرم الأخلاق .. وقد غادر هذه الحياة قرير العين بما تركه من الآثار التي خلّدت ذكره في تاريخ فن الطباعة في الشرق.

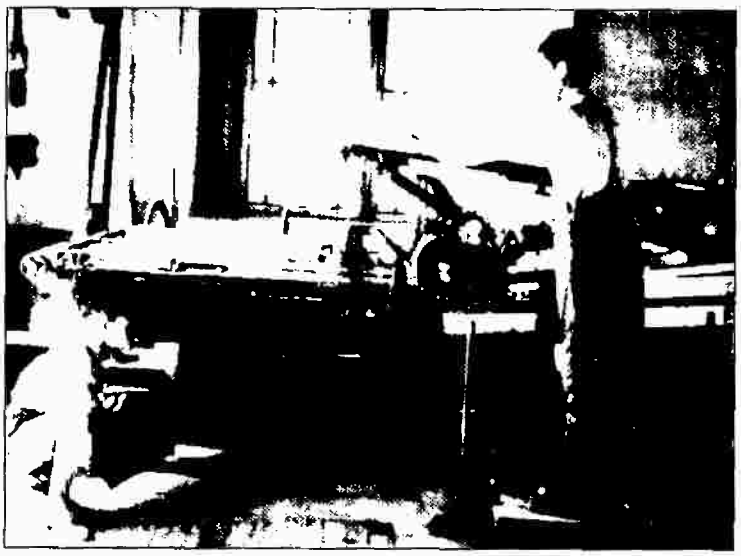

آلة الطي بمطبعة دار المعارف بالفجالة